



أساطير من الشرق

4

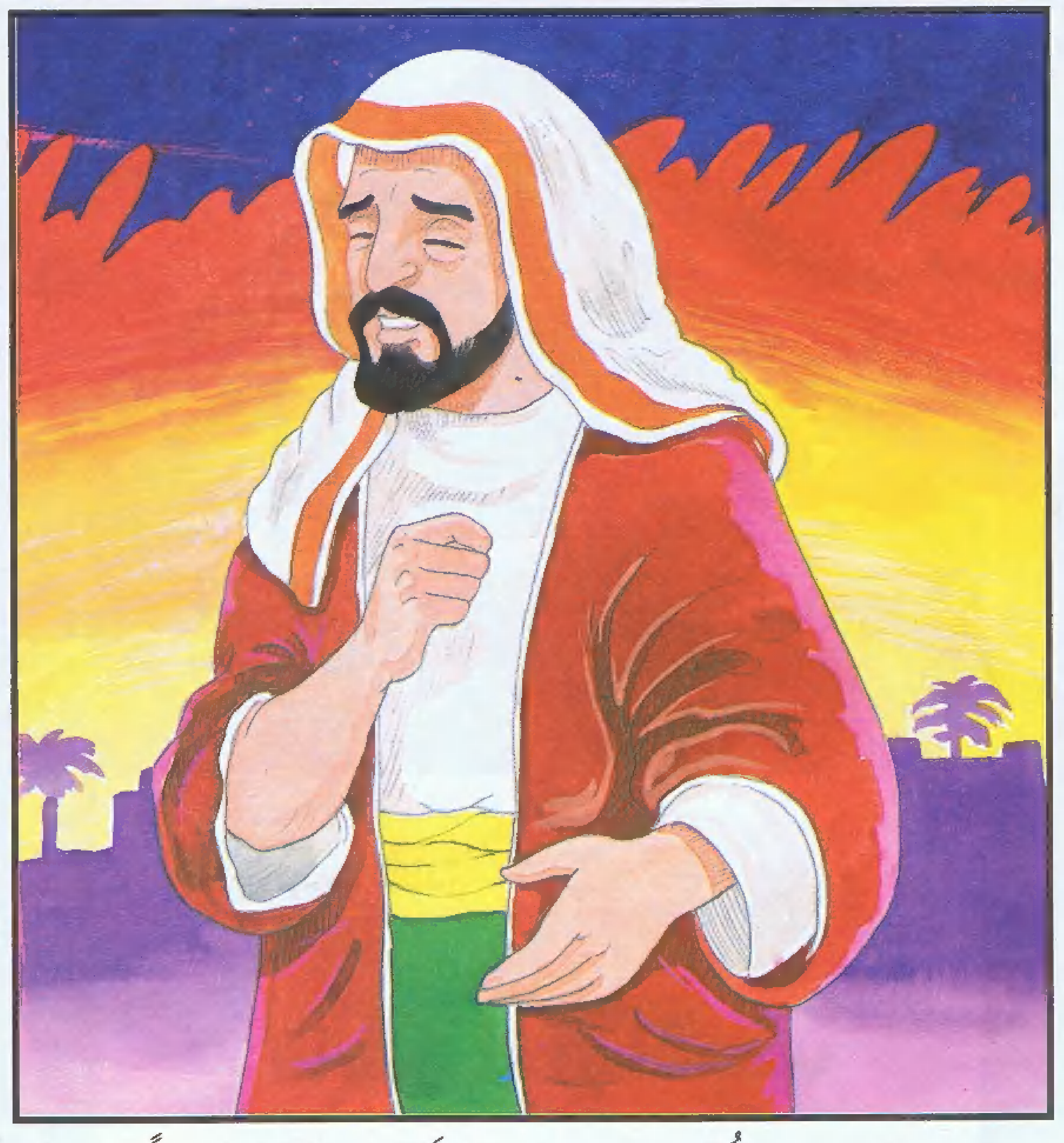
تاجر القباقيب

RABIE

أساطير من الشرق

قصص تربوية للأطفال

تاجر القباقيب



فِي إِحْـدى الأُمْسِـيَاتِ عَـادَ تَوْفِيـقٌ يَائِسـاً مِـنَ العَمَـلِ، مَحْزُونـاً، اسْـودَّتِ الدُّنيَـا فِي عَيْنَيْـهِ فَقَـدْ سُـدَّتْ فِي وَجهِـهِ أَبْـوَابُ الـرِّزْقِ وأُغْلِـقَ دُكَّانُـهُ بَعْـدَ أَنْ حَجَـزَهُ أَصْحَـابُ الدَّيْـنِ وبَقِـيَ لا يَمْلِـكُ شَـيئاً.



إِنَّهُ يَسْكُنُ في غُرْفَةٍ كَئيبَةٍ كَائِنَةٍ في حَيٍّ فَقِيرٍ مُتَواضِعٍ تُحيطُ بِهِ شِبْهُ بُيُوتٍ قَائِمَةٍ، تَكَادُ تَتهَدَّمُ فَوْقَ أَصْحابِها. سُكَّانُها مِنَ الفقراءِ، قليلةُ النَّظَافَةُ لانْعِدَامِ المَاءِ، الَّذي لايُحْصَلُ على القَلِيلِ مِنْهُ إلاَّ بِصعوبةٍ، مِنَ النَّبْعَةِ البَعيدَةِ..

نَقْلاً على رُؤوسِ الأطْفَالِ والنِّسَاءِ. والليْلُ الأسودُ يُخيِّمُ على هَذِهِ المنطقَةِ، فَيَتْرُكُها في ظَلامٍ دَامِسٍ، مُنْذُ الغُرُوبِ وحَتّى الفَجْرِ، إذْ لا سراجَ ولا فَتِيلَ إلاَّ فِيمَا نَدَرَ!

وفي تِلْكَ الغُرْفَةِ، يَقْبَعُ هَيْكَلُ زَوْجَةٍ، وَأنفَاسُ أَطْفَالٍ خَمْسَةٍ تَتحرَّكُ بعُيونٍ شَاخِصَةٍ إلى السَّمَاءِ وشِفَاهٍ تُتَمْتِمُ بالدُّعَاءِ.

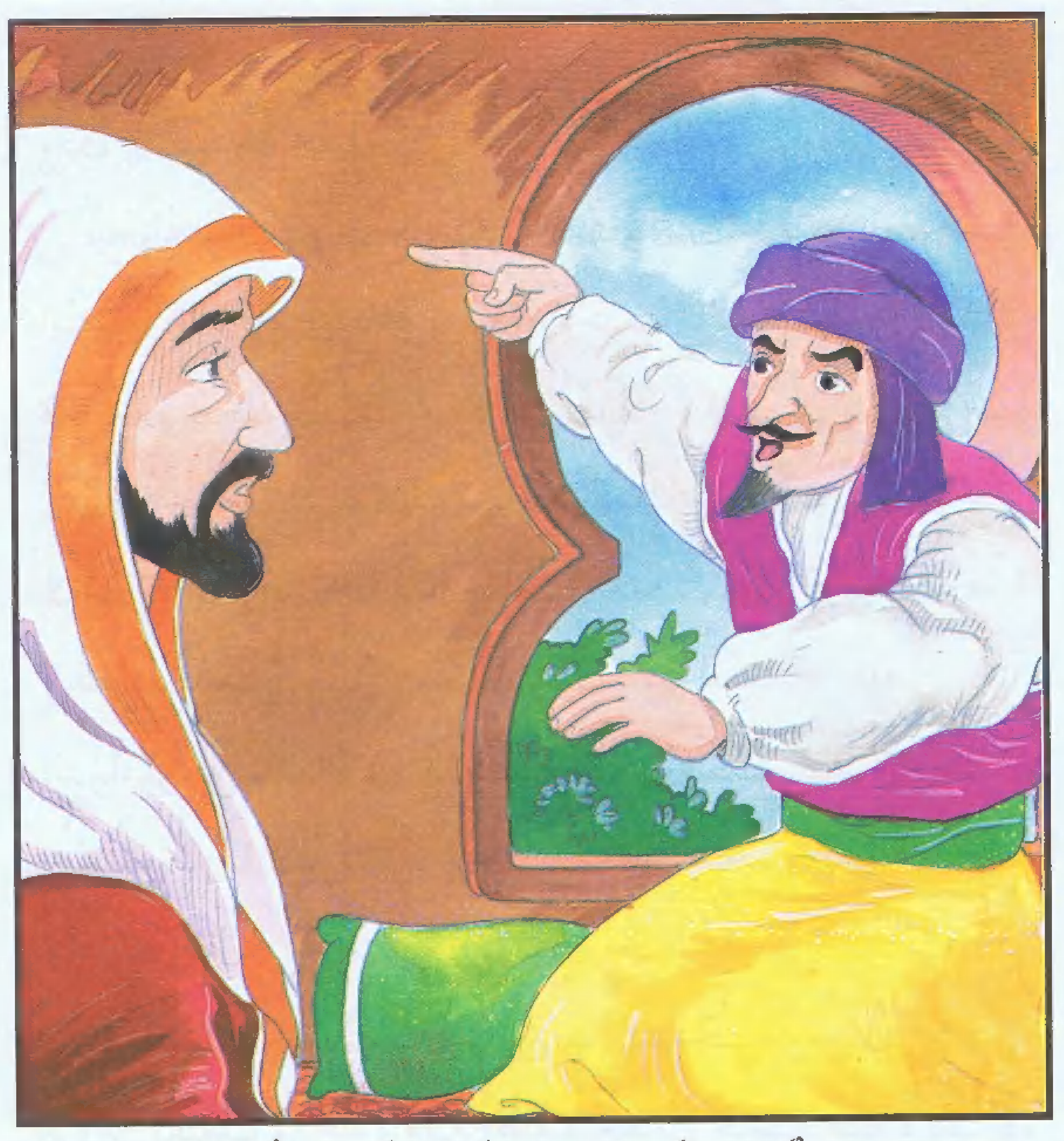
دَخَلَ تَوْفِيقٌ وارْتَمَى مَغْشِياً عَلَيهِ مِنْ هَوْلِ المَصَائِبِ. فَذُعِرَتِ الزَّوجَةُ واقْتَربَتْ مِنه تُهوِّنُ عَلَيْهِ. وقَصَّتْ عَلَيْهِ نَبأً سَمِعَتْهُ عَنْ جَارِهِمُ السَّابِقِ، سلْمَانَ الصَّابِرِ المُعْوزِ الذي كانَ قَدْ فَارَقَ البَلدَ، طَلباً للرِّزقِ وهَرَباً مِنَ الدُّيونِ. وهَاهُو قدْ عَادَ مِنَ السَّفَرِ البَعيدِ، وقَدْ تبدَّلَتْ أَحْوالُهُ، وأَصْبَحَ في نِعْمةٍ وثَراءٍ. وأَهَابَتْ بِزَوْجِها أَنْ يَذهَبَ لِزيارَتِهِ لعَلَّ اللهَ يَفتَحُ في وَجْهِهِ الآفَاقَ. وبَعدَ جَهْدٍ مِنها في إقْنَاعِهِ قَامَ تَوفِيقٌ، وأَصْلحَ مِنْ شَأنِهِ، وتَوجَّهَ إلى البَيْتِ الجَديدِ الذي يَسْكُنُهُ سَلْمانُ وقد أَدْهَشَهُ جَمالُ الشَّارِعِ ونَظَافَتُهُ. وانْتِظامِ الأَبْنِيةِ، والأَنْوارُ السَّاطِعَةُ، فانْبَسطَتْ أَسَارِيرُهُ. وما أَن اقْتَربَ مِنَ البَابِ، حتَّى تَوسَّمَ خَيراً، وجَمَعَ شَجاعتَهُ..

ودقَّ البابَ دقّةً خفيفةً.

فُتِحَ لَهُ البَابُ، وخَرجَ سَلْمَانُ لاسْتِقبالِ الجَارِ القَديمِ فأحْسَنَ اسْتِقبالَهُ، ودَعاهُ إلى قاعةٍ واسِعَةٍ، فُرِشَتْ بأَثاثٍ فَخْمٍ، وستَائِرَ فخمَةٍ، وسَجَّادٍ وثُريَّاتٍ ثمينةٍ، لَمْ يَتمالَكْ تَوْفيقٌ أَنْ يُدْهَشَ بما يَرى، فَأخَذَ يُبارِكُ لِصَديقِهِ نَجاحَهُ ويَغْبِطُهُ على هَذهِ النِّعْمَةِ التي لاتُقَدَّرُ. وسُرعَانَ ما بَدأَ سَلْمَانُ الحَديثَ عَنْ رِحْلَتِهِ الموفَّقَةِ وسَفَرِهِ، فَدُهِشَ تَوْفيقٌ وشَعَرَ بِطُموحٍ كَبيرٍ للمُغامَرَةِ مِثْلِهِ.

واسْتَرسَلَ سَلْمانُ في حَديثِهِ، وتَظاهَرَ بِنُصْحِ تَوْفيقٍ وبِنَفْسِهِ خُبْثٌ وضَرَرٌ، لأَنَّهُ أنانِيٌّ، يَأبى أَنْ يَتمَتَّعَ صَاحِبُهُ هَذا بالسَّعادَةِ والهَناءِ. وقَالَ:

ـ ياصَاحِبِي لقَدْ سَافَرْتُ إلى بِلادِ العَجَمِ، وحَصَلْتُ على ثَرْوَتي بالتَّعَبِ والجَدِّ، وقدْ اطَّلَعْتُ على حَاجَةِ البِلادِ هُناكَ، وأَصْبَحْتُ خَبيراً بما يَرُوجُ فِيها، والتِّجارَةُ التي أنْصَحُكَ بها هِيَ تِجارَةُ القَباقِيبِ. فَالخَشَبُ مَفْقودٌ وَغالِي الثَّمَنِ. وأَغْلَبُ السُّكَّانِ يَحْتَذُونَ القَباقِيبَ في البُيوتِ. لِذا فكُلَّما ضَاعَفْتَ الكَميَّةَ..



كانَ رِبْحُكَ أكْثَرَ. وسَتَحْصُلُ عَلى ثَرْوَةٍ كَبيرةٍ بِإذْنِ اللهِ.

وَثِقَ تَوْفيقٌ بِكَلامِ جارِهِ. وبَدَأَ يَسْتَدينُ مِنْ أَقْرِبائِهِ ومِنْ بَعْضِ الأَغْنياءِ المُحْسِنينَ حتّى جَمَعَ مَبْلَغاً لا يُسْتَهانُ بِهِ، واشْتَرى كَمِيَّةً وَافِرَةً مِنَ القَباقِيبِ، وَوَدَّعَ أُسْرَتَهُ..



وَشَدَّ الرِحالَ إلى بِلادِ فَارِسَ.

قَاسَى تَوْفيقٌ مِنْ مَصَاعِبِ الطَّريقِ البَرِّي وصُعوبَةِ السَّفَرِ مالَمْ يَكُنْ بِالحُسْبانِ، إلاَّ أنَّهُ كانَ يُمَنِّي النَّفْسَ بِأَبوابِ الرزقِ التي سَتُفْتَحُ لَهُ، وبِالمالِ الذي سَيَنْهالُ عَلَيْهِ.

ووَصَلَ أَخِيراً إلى أسْوارِ مَدينَةِ هَمَذَانَ لَيْلاً.

وكانَتْ هَذِهِ الأَسْوارُ حَصِينَةً مَنِيعَةً، تُشْبِهُ القِلاعَ القَدِيمَةَ وحَوْلَها الحُرّاسُ المُدَجَّجُونَ بالسِّلاحِ. وعَرَفَ بَعْدَ فَتْرَةٍ أَنَّ عَلَيْهِ الانْتِظارَ حتّى الصَّباحِ. فَقالَ: حَسَناً الصَّباحُ رَباحٌ. ومَا الصُّبْحُ بِبَعِيدٍ. حَطَّ تَوْفِيقٌ بِضَاعَتَهُ جَانِبَ السُّورِ، واتَّكَأَ عَلَيْها، فَغالَبَهُ النُعاسُ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ، وغَطَّ في نَوْمٍ عَمِيقٍ.

وما أَنْ أَطَلَّ الفَجْرُ، حتّى تَناوَبَ الحُرّاسُ أَماكِنَهُمْ، وخَرَجَتْ مَفْرَزَةٌ مِنهُمْ يَتَقَدَّمُها حَاجِبُ المَلِكِ لِتَفقّدِ القادِمينَ إلى البِلادِ فَشَعَرَ تَوْفِيقٌ بالحَرَكَةِ وسَمِعَ وَقْعَ أَقْدامٍ فَنَهَضَ مُسْرِعاً، وبادَرَهُمْ بالتَّحِيَّةِ وفَهِمُوا قَصْدَهُ. فَتقَدَّمَ الحَاجِبُ، وطَلَبَ مِنْهُ عَيِّنَةً مِنَ البضاعَةِ، لِتُعْرَضَ على المَلِكِ، فَإذَا أَعْجَبَتْهُ وَراقَتْ لَهُ، سَمَحَ بِدُخُولِها إلى المَمْلَكَةِ وبَيْعِها. لَفَّ تَوْفِيقٌ قَبْقاباً بِمَنْدِيلٍ حَرِيرِيٍ، وذَهَبَ إلى المَلِكِ، وكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهُ عَظِيمَةً حِينَ رَأَى اسْتِغْرابَ المَلِكِ مِنْ هَذا الصِّنْفِ..

فامْتَقَعَ وجْهُهُ، وَأَوْجَسَ في نفسِهِ خِيفَةً مِنْ بَطْشِ المَلِكِ.

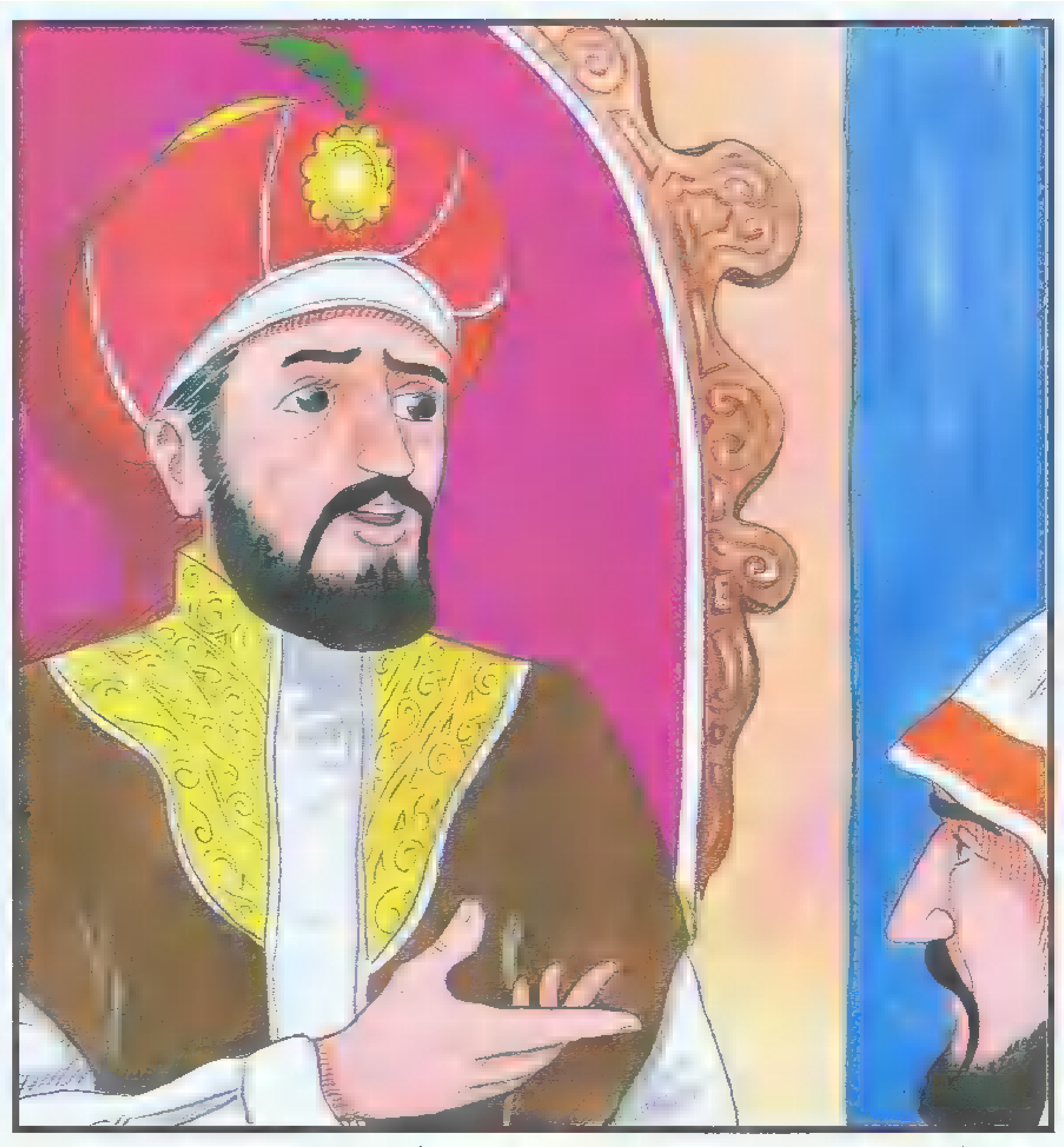
لَقَدْ اكْتَشَفَ مَكْرَ سَلْمانَ وخِداعَهُ لَهُ، وأَخَذَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ على ما أَنْفَقَ، وقَلْبُهُ يَخفِقُ بَينَ جَنْبَيْهِ ويَكادُ يَتمزَّقُ أَسًى وَيأْساً.

رَقَّ المَلِكُ لِحَالِهِ وعَرَفَ بِذَكَائِهِ أَنَّ في الأَمْرِ سِرًّا. وبِأَسْئِلَتِهِ المُتعدِّدَةِ عَرَفَ أَنَّ تَوْفيقاً هذا ضَحيَّةٌ لِمَكْرِ سَلْمانَ الذي حَضَرَ مُؤخَّراً إلى البِلادِ. وهُو الذي حَفَرَ لَهُ هذهِ الحُفْرَةَ، فرَثَى لِحَالِهِ وشَجَّعَهُ وطَمْأَنَهُ قائِلاً: اذْهَبْ وادْخُلِ البِلادَ، فأَهْلاً وسَهْلاً. واجْلِسْ قُرْبَ تِجارَتِكَ، وباشِرِ البَيْعَ بِعَشَرَةِ دَنانيرَ لِكُلِّ قَبْقابٍ، وسَأُسَهِّلُ لَكَ أَمْرَكَ لأَنَّكَ طَيِّبُ القَلْبِ.

انْصَرَفَ تَوْفيقٌ دَاعِياً لِلمَلِكِ بالعُمْرِ الطَّويلِ، وكادَ يَطيرُ مِنَ الفَرَحِ لأَنَّهُ سَيَرْبَحُ أَضْعافاً مُضاعَفةً. وأَصْدَرَ المَلِكُ أَمْراً يَقْضِي بأَنْ يَلْبَسَ كُلُّ شَخْصٍ مِنَ الرَّعيَّةِ قَبْقاباً خَشَبيّاً أَثْناءَ العَرْضِ الكَبيرِ الذي سَيُقامُ أَمامَ القَصْرِ المَلَكِيِّ..



بِمُناسَبَةِ عيدِ تَتْويجِ المَلِكِ على البِلادِ. فَتَهافَتَ السُّكّانُ على تَوْفيقٍ وكَثُرَ عَلَيْهِ البَيْعُ حتّى نَفَدَ جَميعُ ما لَدَيْهِ، وحَصَلَ على ثَرْوَةٍ طائِلَةٍ بِفَضْلِ إِقدامِهِ وثَباتِهِ وصِدْقِهِ وحُسْنِ نِيَّتِهِ، وإِخْلاصِهِ في العَمَلِ.



انْتَهى عَمَلُ توْفيقٍ، وحَزَمَ الرَّأيَ لِلرُّجوعِ السَّريعِ فقَـدْ زَادَ حَنينُهُ إلى وَطَنِـهِ، واشْتاقَ إلى أَهْلِـهِ. وقَبْلَ أنْ يُغـادِرَ البِـلادَ الذَّهَبيَّةَ، تَوَجَّهَ إلى المَلِكِ، وقَدَّمَ لَهُ شُكْرَهُ وتَقْديرَهُ للنِّعْمَةِ التي أَسْبَغَها عليه. فاشْـتَرَطَ المَلِـكُ لِلرِّضَـا عَنْـهُ دَائِمـاً أنْ يَكْتُـمَ..

عَنْ سَلْمانَ ما كَانَ مِنْ أَمْرِ القَباقيبِ، وألاّ يُعاتِبَهُ بِما أَسَاءَ. فوَعَدَهُ خيْراً وانْصَرَفَ. عَادَ تَوْفيقٌ مُوَفَّقاً، وقَدْ ازْدَهَرَتْ أَحْوالُهُ وبَانَتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ والثَّراءُ. وأَصْبَحَ مَضْرِبَ الأَمْثالِ، وحَديثَ المَجالِسِ عِنْدَ أَهْلِ حَيِّهِ وبَلَدِهِ.

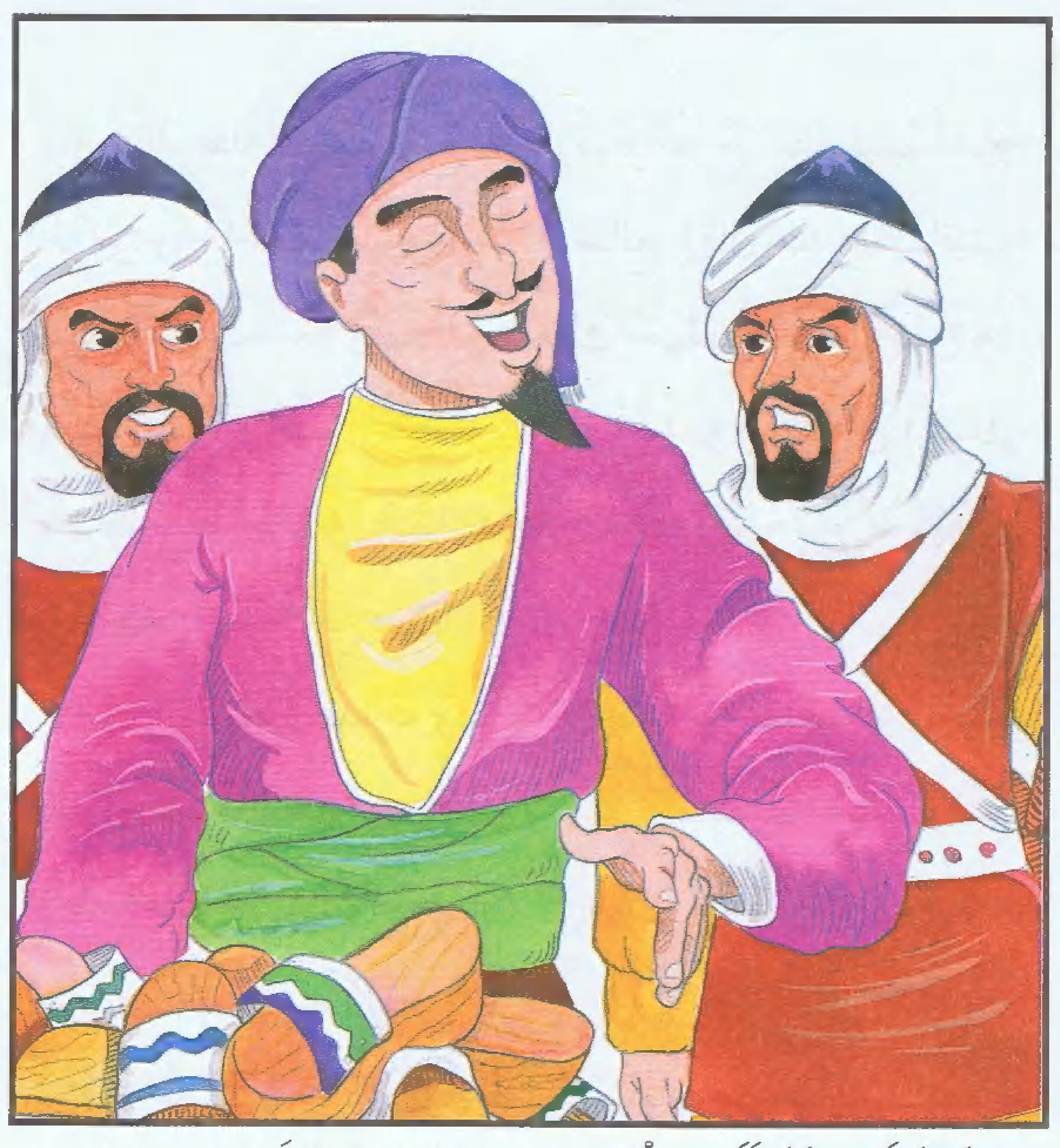
كانَ تَوْفيقٌ شَفِيقاً مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، اشْتَرى دَاراً للأَيْتَامِ. وأخَذَ يُعْطِي الزَّكَاةَ للفُقَراءِ والمُحْتَاجينَ، ولَمْ يَتَنَكَّرْ لأَحَدٍ، لأَنَّ صُورَةَ المَاضِي لَمْ تُفارِقْ خَيالَهُ أَبَداً. وجَاءَهُ سَلْمانُ مُسْتَفْسِراً فَعَزَّ عَلَيْهِ أنْ يُشاهِدَهُ في هَذِهِ الرَّفاهِيَةِ والثَراءِ، لَكِنَّهُ تَظاهَرَ كَعادَتِهِ بِحُسْنِ السُّلوكِ والنِيَّةِ، واستَفْهَمَ بِدُونِ لَباقَةٍ وبِتَهَكُّمٍ، عَنْ مَصيرِ القَباقيبِ، فَأجَابَهُ بِاقْتِضَابٍ: إِنَّهَا سَبَبُ ثَرْوَتي، وشُكْراً لَكَ ياصاحِبِي عَلَى نَصيحَتِكَ والفَضْلُ يَعودُ كُلُّهُ لَكَ.

نَهَضَ سَلْمانُ مُسْرِعاً وهُوَ يُتَمْتِمُ مُقَطِّباً، وذَهَبَ لِيَهْدِمَ مابَناهُ في ساعَةٍ واحِدَةٍ، فَباعَ كُلَّ ماأَسَّسَهُ واشْتَرى بِهِ قَباقِيبَ. وحَمَّلَها في قافِلَةٍ كَبيرةٍ وتَوَجَّهَ إلى المَمْلَكَةِ العَجَمِيَّةِ ثانِيةً.

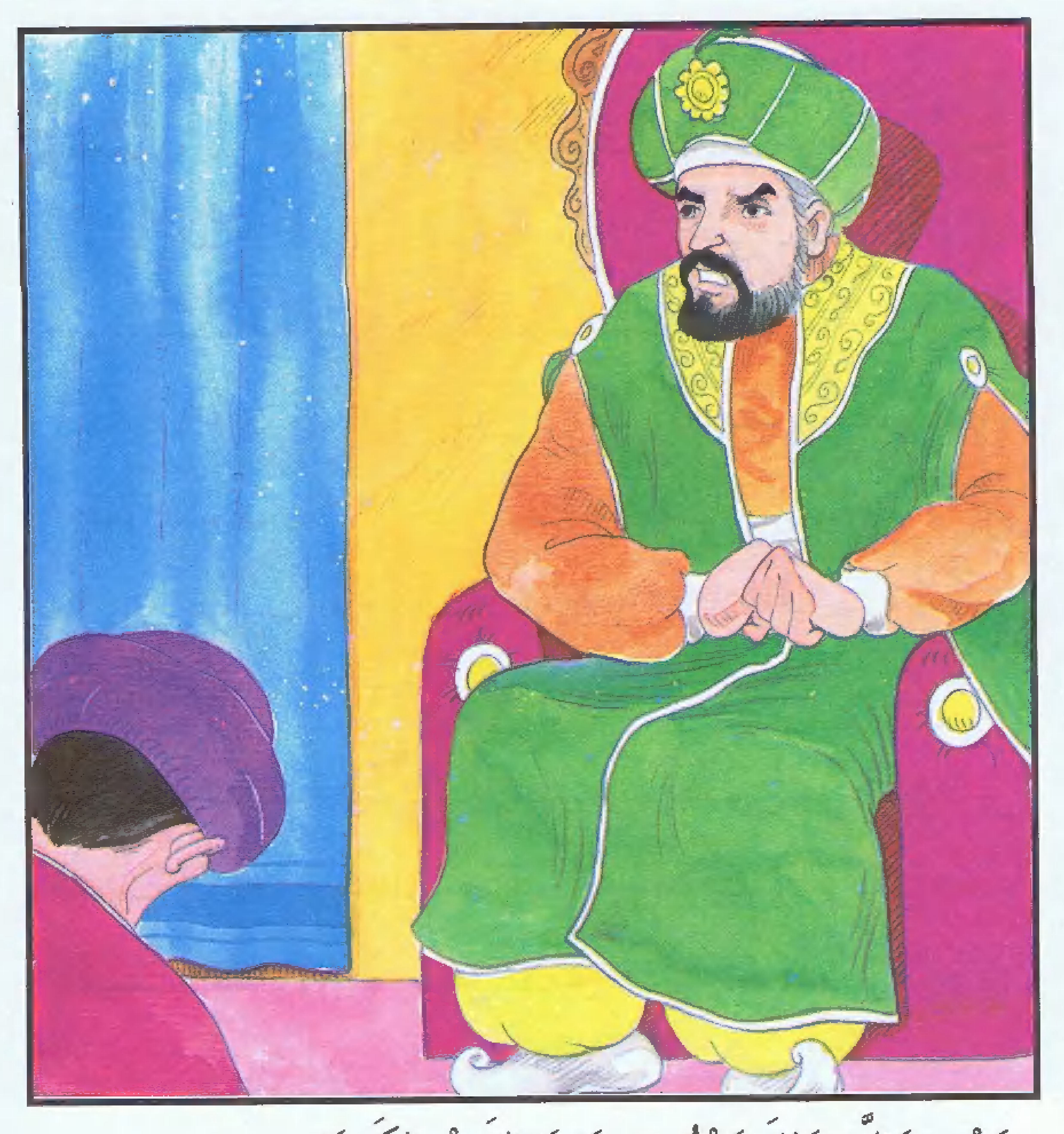
وهُناكَ عِنْدَ الأَسْوارِ فَتَحَ التِجَارَةَ، وأَخْرَجَ القَباقِيبَ أَمامَ الحُرَّاسِ والحَاجِبِ المَسْؤُولِ عَنِ البَضائِعِ. وقالَ هَذِهِ القَباقيبُ مُمْتازَةٌ أَنتُمْ بِحاجَةٍ إلَيْها. وضَحِكَ مُقَهْقِهاً بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فَغَضِبُوا مِنْهُ، وحَنَقُوا عَليهِ، وبَيَّتُوا لَهُ أَمْراً. وهُرِعوا إلى المَلِكِ يُخبِرُونَهُ بِما جَاءَ بِهِ هَذا التَّاجِرُ الفُضُوليُّ، وعَنْ اسْتِهزَائِهِ ووَقاحَتِهِ، وعَدَمِ وَقَارِهِ.

اسْتَغْرَبَ المَلِكُ قُدومَهُ وَقالَ: واحِدَةٌ بِواحِدَةٍ، الآنَ حَقَّ القَوْلُ عليهِ، وسَيَرى إلى أَيِّ مُنْقَلَبٍ سَيَنْقَلِبُ هَذا الوَقِحُ الأَبْلَهُ الطَّمَّاعُ. لَقَدْ وَقَعَ في الشَّرَكِ الذي نَصَبَهُ لِجارِهِ تَوْفيقٍ، وسَيَرى جَزاءَهُ.

هَدَأَ غَضَبُ المَلِكِ، وأُحْضِرَ سَلْمانُ بَيْنَ يَدَيْهِ فابْتَدَرَهُ قائِلاً: إنَّ تِجارَتَكَ هَذِهِ امْتِهانٌ لِكَرامَةِ الشَّعْبِ يا هَذا !! أَلَمْ تَقْنَعْ بِالثَّرْوَةِ التي جَمَعْتَها في المَرَّةِ السَّابِقَةِ؟! لقَدْ غَرَرْتَ بِتَوْفيقٍ جارِكَ القَديمِ أَلا تَذْكُرْ؟ أَرَدْتَ لَهُ الخَسارَةَ والخِذْلانَ،



وبَيَّتَ لَهُ الشَّرَّ فَنَجا مِنْهُ، وهَذا دَليلٌ عَلى كَيْدِكَ وحَسَدِكَ لَهُ. وهَا قَدْ قَادَكَ الطَّمَعُ وَعُدْتَ إلَيْنا. وهُنَا صَفَّقَ المَلِكُ وطَلَبَ مِنَ الحاجِبِ جَمْعَ أهالِي المَمْلَكَةِ، لِيُعْلِنَ العِقابَ أمامَ الجُمْهُورِ بِدُونِ رَحْمَةٍ، وخَرَجَ المُنادُونَ في المَمْلَكَةِ..



يَدْعونَ النَّاسَ لِلتجَمْهُرِ في سَاحَةِ القَصْرِ الكبيرَةِ.

وَمَا أَنْ مَضَتْ سَاعَةٌ حتَّى توَافَدَ الشَّعْبُ زُرَافاتٍ إلى سَاحَةِ القَصْرِ مُلَبِّينَ دَعْوَةَ المَلِكِ الذي يَقْضِي أَيَّامَهُ سَاهِراً على رَاحَةِ الشَّعْبِ لِيُحقِّقَ مَطالِبَهُ وَرَغَباتِهِ.

وتَجَمْهَرُوا، وأنْصَتُوا جَميعاً حِينَ أطَـلَّ المَلِـكُ، وعلـى رَأْسِـهِ تاجٌ مِنَ الدُّرِّ المُتَألِّقِ، وإلى يَمِينِهِ الوُزَراءُ وعلى يَسارِهِ الأُمَراءُ، ومِنْ خَلْفِهِ الحُجَّابُ. كانَ الجَمِيعُ يَتساءَلُونَ عَنِ الأَمْـرِ الـذي جُمِعُوا لأَجْلِهِ، ويَنتظِرُونَ بِفارِغِ الصَّبْرِ مَعْرِفَتَهُ. وبَعْـدَ بُرْهَـةٍ، أُحْضِرَ سَلْمانُ مُقيَّداً بالحَدِيدِ، فَتَطاوَلَ النّـاسُ لِيَعْلَمُـوا أَمْـرَهُ، ونُثِرَتِ القَباقِيبُ أَمامَ الجَميعِ بِاحْتِقـارٍ وَتَـلاَ الحَـاجِبُ حُكْـمَ المَلِكِ قَائِلاً:

- لِيُضْرَبْ هَذا الشِّرِّيرُ بِالقَباقيبِ إنَّهُ فُضُـولِيٌّ وَقِـحٌ، وعلـى الغَريبِ أنْ يَكُونَ أَديباً، لِيُضْرَبْ حتَّى المَوْتِ. وَأَمَرَ كُلَّ فَـرْدٍ أَنْ يَسْتَلِمَ قَبْقاباً، ثُـمَّ صَـدَرَ الأمْـرُ بِتَنْفيـذِ الحُكْـمِ. وصَـارَتِ القَباقيبُ تَنْهالُ على سَلْمانَ كالحَجَرِ الأَصَمِّ مِـنْ كُـلِّ ناحِيَـةٍ بِدُونِ هَوادَةٍ.

ومـاهِيَ إلاَّ سَـاعَةٌ مِـنَ العُمْـرِ حتَّـى لَفَـظَ سَـلْمانُ أَنْفاسَـهُ بِالعَذابِ الأَلِيمِ. لأَنَّ مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً لأَخيهِ وَقَعَ فيها.

أســـــاطير من الشـــــرق

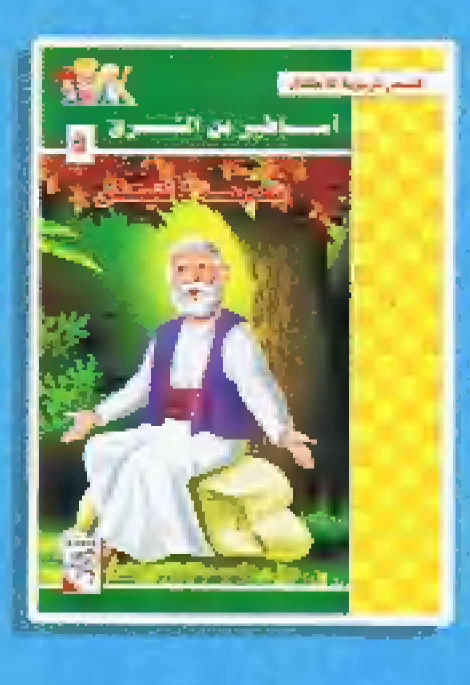
حكايات قديمة من بلاد الشرق، تناقلتها الألسن شفاها من جيل إلى جيل فيها الحكمة والطرافة والمغزى الجميل من تراث الأجداد. صاغتها أقلام أدبية بلغة سهلة، دقيقة وجذابة لتلقيها عذبة في أسماع أطفالنا الأعزاء من سن 8 - 14 سنة.

1 - الجزاء العادل
2 - التاجر والإسكاف
3 - الضفدع المسحور
4 - تاجر القباقيب
5 - ملك الطيور
6 - الرهان العجيب
7 - الوعاء المسحور
8 - نصيحة لا تنسى







تأليف : د.محمد التنجي
رسوم : ياسر محمود
الغلاف : هيثم فرحات





دار ربيع للنشر

E-mail: rabie@rabie-pub.com
www.rabie-pub.com